

كتاب الانتصار

محاجة بين الشيعة والمعتزلة

(متمم لمقال العدد الماضي)

فقد تبين أن للفرق الاسلامية أثراً عظيماً في تكوين دول الاسلام وآدابه وعلومه . وأن لابد للباحث في تاريخ الاسلام من درس هذه الفرق ومعرفة آرائها وتفهم حياتها . وأن السبيل الى هذا الدرس قد طمست بما عمدت اليه كل طائفة من مقاومة آثار غيرها وتحريق كتبها وتحريف آرائها فاذا وجدنا كتاباً حرره أئمة فرقة يزود عنها ويبين حججها فقد ظفرنا بسند تاريخ ذي قيمة عظيمة ونفع كبير . وذلك ما نجده في كتاب الانتصار فان متكلمي شيعياً من أحقق المتكلمين وأعرفهم بالجدل وهو أبو الحسن أحمد بن يحيى الراوندي يدافع عن الشيعة ويؤيد آراءها ويقيم حججها ويهاجم المعتزلة فيصيب أقوالهم ويدحض بيناتهم وينبهي له علم من أعلام المعتزلة كان في غاية الشهرة بعلمه باختلاف المتكلمين ومنزلته بين النظار الباحثين وهو الامام أبو الحسن عبد الرحيم الخياط فيدفع عن طائفة المعتزلة ويرد ما يتهمم به الشيعة في كتاب الانتصار فهو محاجة بين أئمة شيعي ومعتزلي حررت في القرن الثالث من الهجرة وسامت على صروف الأيام حتى بقيت لنا الآن ونحتاج في فهم هذا الكتاب الى كثير من الصبر والاطلاع والمعرفة بأراء هذه الفرق فانها محاجة لا يراد بها بسط القول وأفاضة الشرح في أصول المسائل ولكن يقصد الى ذكر مواضع الخلاف وأنواع المآخذ فتشرح

بقدر ما توجبها الحاجة من دحض حجة الخصم وإبطال قوله . وأكثر مواضع الخلاف دقيق المسلك عسر البيان فالقول في جبر الإنسان واختياره وفي الأرواح والأعراض والأجسام وفي الظهور والكمون والتولد والمعاني وغيرها مما تجده في أبحاث المتكلمين . ولكنه ينفعنا من هذا الكتاب أن الشيعة يذكر من قول المعتزلة وجه الضعيف وناحية المأخذ فيجيب المعتزلي . ويشرح الرأي ويواطده ويبين حجته فيتسع لنا موضوع من البحث أكثر مما يهمنا منه أن نعرف رأي كل طائفة من قول أئمتهم وسبيل تدليلهم عليه ومبلغ تمسكهم به

وإذا بدأ الكتاب وجدت الراوندي الشيعة يشكو من أن المعتزلة يأخذونهم بآراء بعض الغلاة منهم وينسبون إليهم من الاتوال والآراء ما ينكره جمهور الشيعة ويتبرؤون منه وأن المعتزلة قصدوا إلى ذلك على علم يضعفه وقلة القائل به وبراءة الجهرة الكثيرة منه رغبة في تسريء المذهب وتشويه آراء أهله . ثم يناقش آراء أئمة المعتزلة فيبدأ بأئمتهم محمد بن الهذيل وقد كان من عظام رجالهم في القرن الثالث والرافعين لواء الجدل والقادرين فيه وكان المأمون يعقد المجالس للمناقشة في العقائد برئاسته . فيأخذ عليه قوله بتناهي علم الله وقدرته : أما الخياط فيكذبه في نسبة تناهي علم الله إلى أبي الهذيل ويفصل في تناهي القدرة إذ يقول أن المقدورات حادثة وانها لا شك تتناهي وأن تناهي القدرة يكون بتناهي متعلقاتها من الحوادث

ثم يناقش الإمامين إبراهيم بن سبار النظام وعثمان بن بحر الجاحظ وينسب إليهما قولهما بعجز الله أن يوقع الظلم ويدافع الخياط بأن الله عدل

والعدل واجب له لذاته والظلم محال عليه والقدرة لا تتعلق بالمحال ويستمر الراوندى فى مناقشة آراء المعتزلة ثم ينتهى الى الدفاع عن أقوال فرقة فيشرح أصولها ويدفع النسبة التى ترمى بها ويتلخص لك من هذا الحوار بعد طول نظر وبعد اطراح لكثير من المسائل الفرعية أصول عقائد المعتزلة والشيعة

فأما المعتزلة فأهم أصولهم القول بالتوحيد والعدل وبالمنزلة بين المنزلتين وذلك أن كثيراً من الأمم الأخرى قد دخلت الاسلام فى هذا الوقت ومعها بقايا من الشرك والتشبيه وآثار من الوثنية التى كانوا فيها فشبّه الله بغيره فى الجسم والوجه والعين ونحوها فأخذ المعتزلة فى تمحيص عقيدة التوحيد ونفى التعدد والتشبيه عنه تعالى وقالوا أن الله واحد من كل الوجوه حتى لم ينسوا له صفة تستدعى تعدد القديم فقال انه قادر بذاته وعالم بذاته وليس هناك شىء زائد على الذات يسمى قدرة أو علماً . ونشأت المقالة فى قدرة الانسان وخلق افعاله واختياره أو جبره فى أعماله فقال قوم بالجبر وبأن الانسان مرغم لا يخلق شيئاً من أفعال نفسه ورأى المعتزلة أن الانسان يخلق أعمال نفسه وأن الشر منها والخير منسوب اليه أما الله سبحانه وتعالى فهو حكيم عدل لا يفعل الظلم ولا يقع منه شر وانه واجب له لذاته أن لا يفعل لعباده الا الصالح والأصلح لهم . ثم نشأ الخلاف فى المسلم المجرم بفعل الكبيرة . أهو مؤمن وقد وعد الله المؤمنين جناته وكتب لهم ثواباً أم هو كافر وقد أعد الله للكافرين عذاباً عظيماً خالدين فيه . فرأوا أن فاعل الكبيرة فى منزلة بين المنزلتين الكفر والإيمان

أما الشيعة فأهم أصول مذهبهم وجوب الامامة في ولد علي ولزوم امام في كل عصر وعصمة الامام ليرجع الله سواء كان ظاهراً أو مستوراً : وقولهم بجواز الرجعة وجواز البداءة على الله تعالى . وذلك أن أساس التشيع هو تفضيل علي وولده وقصر الخلافة عليهم ولا يصح أن يكون خليفة إلا من كان من نسل علي ذلك أصلهم ثم اختلفوا فيمن يكون أولى بالخلافة من ولده وانقسموا بذلك الى طوائف متعددة . ولما كان ولد علي قد حرموا من الخلافة وقتلوا وطرّدوا المطالبين بها فأختفى بعضهم في نواحي البلاد وبث الدعاة وبالغ في الاختفاء حتى عن أكثر اتباعه منبهزاً الفرصة للظهور والأخذ بزمام الآخر . رأوا أن الامام يجوز أن يكون مستوراً وجعلوا ذلك من أصل مذهبهم وكان الامام مرجعهم في كل ما يختلفون فيه من اصول الدين وأحكامه فقالوا بعصمته وباستحالة الزلل عليه والخطأ منه ورأوا أن الامام يصح أن يقتل ثم يعود الى الدنيا فيبعث في الناس يقوم بالأمر ويحيي العدل ويرفع شأن طائفته واستدلوا لهذا بأمر عيسى عليه السلام وبكثير من الآيات القرآنية . أما البداءة على الله تعالى فيرون أن الله يصح أن يرى رأياً ثم يبدوا له غيره فينقضه وهم يشبهون هذا بالنسخ في الأحكام فقد خلصت لك ما استطعت من الكتاب وما لا يغنيك عن الرجوع اليه إذا شئت التوسع والاحاطة بما عمل الدكتور العالم نيرج الاستاذ بجامعة ايسالا في تصحيح الكتاب والتعليق عليه والعناية بشرحه فهو ماسنينه في كلمة تالية إن شاء الله

ابراهيم مصطفى

المفتش بالجمعية الخيرية الاسلامية